علوم البلاغة

هي علوم تزود الباحث في علوم اللغة والدين بأدوات البحث ومهاراته فتساعده على أن يكشف وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وتكشف له مظاهر فصاحة الرسول العظيم محمد ﷺ، كما تُعدُّ علوم البلاغة الإنسانَ لاختيار الأساليب الجيدة في كتابته وحديثه. كما تكشف سر جمال لغته العربية فيعتز بها، وتربي علوم البلاغة في الإنسان ملكة النقد، وتنمي مواهبه اللغوية.

وعلوم البلاغة متعددة متنوعة وهي متكاملة. ومنها:

- علم البيان:

وهو علم يساعد المتعلم على أداء المعنى الواحد بأساليب متعددة، وعبارات متنوعة تحقق الدلالة المرجوة من ذلك المعنى، وهو يعطي المتعلم الحرية في التعبير عن المعنى وفق معايير علمية. وأبو عُبَيدة معمر بن المثنى هو أول من وضع أسس هذا العلم في كتابه «إعجاز القرآن»، ثم قعَّدَ له السكَّاكي في القرن السابع الهجري.

- علم المعاني:

وهو علم يساعد المتعلم على أن يعبر عن المعنى المراد تعبيراً مناسباً لحال الذين يوجه إليهم هذا الكلام، والمقام الذي هم فيه. وكان الجاحظ أول من ضرب في هذا العلم بسهم وافر كما في كتابه «البيان والتبين» و«إعجاز القرآن»، ثم تبعه في ذلك الصنيع المُبَرِّد في كتابه «الكامل»، ثم قُدامة بن جعفر في كتابيه «نقد النظم» و«نقد النثر».

- علم البديع:

يخلع هذا العلم على الكلام ثوباً جميلاً في اختيار الكلمات والألفاظ والأساليب من حيث الشكل، ثم يعُنى بالمعنى الذي يعطيه هذا الكلام.

ويُعدُّ الخليفة عبد اللّه بن المعتز أول من وضع لَبِنات هذا العلم في القرن الثالث الهجري.

ويُعدُّ العصر العباسي الأول الذي بدأ عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، حتى عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م- عصر وضع وجمع علوم البلاغة. بينما العصر العباسي الثاني ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، حتى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٨٥م- يُعدُّ عصر التأليف في علوم البلاغة على يد شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني.

ولعلوم البلاغة علماؤها المتعددون، ومؤلفاتهم الكثيرة التي تعنى بفصاحة الكلام وقدرته على كشف المعنى المراد في أسلوب جميل، وتقديم المعنى بطرق متعددة وأساليب متنوعة حتى تسمعه الآذان فيستقر في الوجدان.

- علم عروض الشعر:

هو العلم الذي يحدد أوزان الشعر العربي وقواعده، التي قال فيها ابن درستويه:

«خطان لا يقاس عليهما، خط المصحف، وخط تقطيع العروض»؛ خط المصحف لأنه توقيفي، وخط تقطيع العروض لقواعده الدقيقة المحددة.

والعروض العربي يُسْلِكُ الشعرَ العربي في ستة عشر بحراً، هي: الطويل، الخفيف، المديد، المجتث، البسيط، المتقارب، الوافر، المضارع، الكامل، السريع، الهزج، المنسرح، الرجز، المقتضب، الرمل، المتدارك.

والخليل بن أحمَد اكتشف خمسة عشر بحراً من هذه البحور، وزاد (الأخفش) البحر الأخير (المتدارك). وكل بحر من هذه البحور له أوزانه الموسيقية الدقيقة؛ حيث الوزن أول مقومات الشعر، وبدون الوزن والموسيقى لا يصبح الشعر شعراً. وخط العروض لا يقاس عليه كما قرر ابن درستويه ذلك؛ لأن الكتابة العروضية تعتمد على أمرين هما:

ما ينطق يكتب.

ما لا ينطق لا يكتب.

ويترتب على ذلك زيادة بعض حروف لم تكن مكتوبة إملائيا، وحذف بعض حروف كانت مكتوبة إملائيا، فمثلاً كلمة «لكن» تكتب «لا كن»، وألف الوصل كما في «بن» أو كما «من ابن»، فتكتب عروضيا «منبن».

ولعلم العروض قواعده، ومصطلحاته التي تتعلق بالموسيقى الحديثة بكل ما فيها من تقسيمات نابعة كتطوير حديث لعلم عروض الشعر العربي، ذلك العلم الذي ابتكره الخليل بن أحمد، ذلك العالم اللغوي الكبير.

والشعر العربي وعروضه من العلوم التي عُني العرب بها عناية كبيرة؛ حيث يُروى متواتراً عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ عن الشعر قوله: «إنه ديوان العرب». كما أنه سجل مآثرهم، وأمجادهم وتاريخهم.

وقد عُنيَ الإسلام بالشعر الجيد، وكان حسان بن ثابت الأنصاري شاعراً لرسول اللّه ﷺ، وكان يشجعه بقوله: «قل وروح القدس معك». وللشعر العربي وعروضه مصنفاته العلمية المتعددة، وعلماؤه الذين نبغوا فيه نبوغاً كبيراً.

علم قواعد اللغة

قواعد اللغة العربية علم يطلق على قواعد النحو والصرف، ومضمون هذين العلمين النحو والصرف يظهر فيما يلي :

- علم النحو:

يُعْنى هذا العلم بدراسة الكلمة في السياق من أجل صحة ضبطها. هذا برغم أن هناك أبواباً في علم النحو تدرس الكلمة مفردة، كما في :

- الكلام وما يتألف منه. - وباب المعرب والمبني.

ولذلك يرى كثير من الباحثين في علوم اللغة أن هذه الأبواب تُعَدُّ تمهيدية في دراسة النحو العربي.

- علم الصرف:

هو العلم الذي يعنى بقواعد بنية الكلمة المفردة من حيث الصحة والإعلال، والأصالة والزيادة، وترتيب الحروف وحذفها. فهو علم يعنى بدراسة الكلمة قبل تركيبها في الجملة.

وقد نشأ علم الصرف نتيجة للخطأ في بنية بعض الكلمات، وضبط حروفها ما عدا الحرف الأخير، كما نشأ علم النحو نتيجة للخطأ في إعراب الكلمات وضبط الحرف الأخير منها.

وعلما الصرف والنحو هما علم قواعد اللغة العربية.

- علماء البلاغة:

نبغ في علوم البلاغة العربية كثير من العلماء، منهم:

الخطيب القزويني:

هو الشيخ جلال الدين محمد بن عمرو القزويني، وهو من أسرة كثيرة العلماء، ولد سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، ودرس علوم الدين دراسة وافية، وبخاصة الفقه، مما أهَّله لتولي وظيفة القضاء، ثم كان خطيب المسجد الجامع بدمشق، ومن هنا لقب بالخطيب. وله مؤلفات كثيرة، منها، تلخيص المفتاح، والإيضاح في المعاني والبيان.

وتوفي الخطيب القزويني بدمشق عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، فعاش زهاء ثلاثة وسبعين عاماً.

سعد الدين التفتازاني:

هو سعد الدين بن مسعود بن عمر التفتازاني. ولد عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، في قرية تفتازان في إقليم خراسان بفارس (إيران اليوم). وقد توفي عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م.

وهو من أشهر علماء القرن الثامن الهجري في علوم المنطق والبلاغة. وكان ذا عقلية ناضجة، وله كثير من السفريات، وكثير من المؤلفات التي منها: المطول والمختصر، وحاشية على كتاب المفتاح للسكاكي.

وله غير ذلك من المؤلفات في علوم البلاغة والمنطق والفقه.

السكاكي:

هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، وهو من علماء القرن السابع الهجري، وكان متأثراً في كتابته بعلم المنطق واللغة اللذَين درسهما دراسة طويلة، فجاء أسلوبه علميّا قريباً من لغة أساليب المنطق. ويُعدُّ كتابه «المفتاح» من أمهات الكتب في علم البلاغة.

عبد القاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، توفي عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م، وهو شيخ علماء البلاغة، وواضع أسس علوم البلاغة، وجعل البلاغة علماً له قواعده ومعاييره التي إذا ألمَّ بها الباحث اكتسب ملكة راسخة، واستطاع أن يعبر عن أغراضه بكلام بليغ، وينقد الكلام نقداً موضوعيّا. ولعبد القاهر الجرجاني عدة مؤلفات، مثل أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والعمدة.

معمر بن المثنى:

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي البصري. ولد سنة ١١٢هـ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ. وقد اشتغل بعلوم البلاغة برغم أنه كان عالماً بالشعر والغريب والأخبار والأنساب والنحو.

- من مصنفات العلوم اللغوية:

دلائل الإعجاز:

هو كتاب من مراجع البلاغة العربية، ومؤلفه عبد القاهر الجرجاني في العصر العباسي الثاني، ووضح فيه كيف يكون الأسلوب الجيد في الأدب؟ وكيف تكون المواءمة بين الألفاظ والمعاني؟

ثم عرض عبد القاهر الجرجاني في هذا الكتاب «دلائل الإعجاز» إعجاز القرآن العظيم في أسلوبه، حيث ذلك التناسق الفريد بين الألفاظ بعضها مع بعض، وبين الألفاظ والمعاني. ثم عرض فيه أيضاً دراسات وافية عن:

- الجملة منفردة ومتصلة.
- الفصل والوصل وأهميتهما.
- الإيجاز والإطناب، وأفضل المواقع لكل منهما.
- العلاقة بين الكلام الجيد وحال المخاطب.

ويُعَدُّ هذا الكتاب مصدراً جيداً من مصادر علوم البلاغة ومؤلفاتها حتى يومنا هذا.

أسرار البلاغة:

وهو كتاب يُعدُّ مهمّا، ومصدرا من مصادر ومراجع علوم البلاغة، ألفه شيخ علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني، وقد وضع فيه مقاييس ومعايير

الأدب الجيد، وهو الأدب الذي تتناغم وتتناسق فيه المعاني مع الألفاظ دون تكلف، كأن المعاني تستدعيها وتتطلبها. وفي هذا الكتاب (أسرار البلاغة) قدم الجرجاني دراسات ضافية عن ضروب علم البيان. ففيه:

- حديث عن التشبيه وأنواعه وقيمته في أداء المعنى.

- حديث عن المجاز والاستعارة.

- حديث عن السرقات الأدبية.

- حديث عن بعض أنواع علم البديع.

وقد عرض المؤلف هذا الكتاب بطريقة مشوقة، وأسلوب جميل أخاذ يأسر القارئ حتى يتابع جميع ما عُرض في هذا الكتاب.

ويُعدُّ هذا الكتاب من أهم مراجع علوم البلاغة حتى يومنا هذا؛ حيث يرجع إليه المشتغلون بعلوم البلاغة يستقون من فيضه الغزير ونبعه الثَرِّ الوفير المفيد.

كتاب المفتاح:

وهو واحد من المراجع الأساسية في علوم البلاغة. وقد وضعه يوسف السكاكي على مناهج علماء المنطق.

وهذا الكتاب ثلاثة أقسام، جاء القسم الأخير (الثالث) منها عن علوم البلاغة مجتمعة (البيان والمعاني والبديع).

ثم بين مجالات كل علم من هذه العلوم التي يبحث فيها، فأصبح كل علم من علوم البلاغة مستقلا عن غيره، له أبوابه وفصوله ومجالاته الخاصة به. وهذا العمل كان السكاكي رائداً فيه، لم يسبقه فيه غيره من علماء البلاغة.

وقد نال هذا الكتاب عناية الباحثين والمشتغلين بعلوم البلاغة من عهد طويل، وحتى يومنا هذا.

وقد وضع الخطيب القزويني تلخيصاً لهذا الكتاب. كما أنه لا يستطيع الباحث في علوم البلاغة الاستغناء عن كتاب المفتاح، وما كتب حوله من شروح وتلخيصات.

مجاز القرآن:

هو أول كتاب وضع منفرداً في علوم البلاغة، وقد وضعه أبو عبيدة معمر بن المثنى. وموضوع هذا الكتاب ـ كما يكشف عنه عنوانه ـ هو الكلام عن المجاز في القرآن الكريم؛ فقد تتبع المؤلف آيات القرآن الكريم التي جاء بها مجاز، ثم وضعها في مؤلفه هذا. ومثال ذلك: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]

فقد سئُل أبو عبيدة عن معنى قول اللّه هذا، وكيف شبه الطلع برؤوس الشياطين وهي مجهولة لدى السامع لم تعرف بعد؟ والشأن في التشبيه أن يكون المشبه به أجلى وأوضح من المشبه.

فأجاب أبو عبيدة بأن ذلك مثل قول الشاعر العربي امرئ القيس :

أيقُتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

فالقصد من التشبيه في الآية الكريمة وبيت الشعر هذا توضيح صورة المشبه، ورسم صورة تقشعر منها الأبدان. والعرب تُشَبه قبيح الصورة برأس الشيطان، وإن لم يروه؛ حتى يُثيرَ ذلك الرعبَ والفزع في نفس السامع.

وقد التزم أبو عبيدة معمر بن المثنى في مؤلفه هذا منهج الجمع والتصنيف والتحليل ثم التطبيق، فجاء مُؤَلَّفاً جيداً أبرز له ريادته في علوم البلاغة، ويُعدُّ مرجعاً للباحثين والمشتغلين بها حتى يومنا هذا.

- من علماء اللغة والأدب:

أبو تمام:

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد بقرية جاسم قي إقليم حوران قرب دمشق ١٨٨هـ (٨٠٤م)، وهو من أشهر شعراء العصر العباسي المشهورين بقوة وجزالة الصياغة في الشعر العربي.

عاش أبو تمام طفولته وصباه بدمشق، ثم رحل إلى القاهرة، وجالس الأدباء الكبار. وكان يسقي الماء في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، ثم

عاد إلى دمشق، وانتقل بعد ذلك إلى بغداد. وقد بَرَع في الشعر فقرَّبه إليه الخليفة المعتصم وأجزل له العطاء في سخاء، وحضر معه عدة معارك حربية، من أهمها معركة عَمُّورية الحاسمة في عام ٢٢٣هـ (٨٣٧م). ويُعدُّ شعر أبي تمام من المراجع ذات الأهمية الكبيرة عند الحديث عن هذه المعركة التاريخية الكبيرة.

وأبو تمام هو مؤلف ديوان الحماسة، وهو ديوان شعر كبير طبع بالقاهرة عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م). وهذا الديوان صنفت له عدة شروح.

تمام الثقفي:

أديب ووزير أندلسي، وهو تمام بن عامر الثقفي، ولد عام ١٩٤هـ (٨١٠م)، وقد تولى الوزارة في عهد الخليفة الأموي أبي عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن (ابن الحكم).

وتنسب إليه أرجوزة يؤرخ بها للفتح العربي لبلاد الأندلس، فهي تحفة أدبية، وسجل تاريخي خفيف الظل سهل اللغة.

وقد توفي العالم اللغوي تمام بن عامر الثقفي في عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م.

الأخفش:

هو لقب لعدد من علماء النحو العربي، أشهرهم ثلاثة، هم:

الأخفش الأكبر:

أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة، وقد عاش في القرن الثاني الهجري. وهو شيخ أبي عبيدة، وهو أول من فسَّرَ الشعر العربي. توفي عام ١٧٧هـ (٧٩٣م).

الأخفش الأوسط:

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ولد بمدينة بَلْخ (أفغانستان). وقد تتلمذ على أمير النحاة سيبويه. وقد نبغ في علوم اللغة، وإليه ينسب زيادة بحر المتدارك من بحور الشعر التي ابتكرها الخليل بن أحمد. وله عدة مؤلفات، منها تفسير معاني القرآن الكريم، وشرح أبيات المعاني.

وقد توفي عام ٢١٥هـ (٨٣٠م).

الأخفش الأصغر:

هو أبو المحاسن علي بن سليمان بن المفضل، ولد ببغداد نحو عام ٢٣٥هـ، ثم ارتحل إلى مصر وأقام بها حيناً. كان يدرس علوم اللغة العربية، ثم عاد إلى بغداد في أخريات حياته. ومن مؤلفاته شرح سيبويه. وقد توفي عام ٣١٥هـ (٩٢٧م).

الخليل بن أحمد:

إمام من أئمة اللغة الكبار، ورائد من روادها المبتكرين. وهو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، ويرجع نسبه إلى بطن من بطون الأزد. وقد ولد بالبصرة عام مائة هجرية (٨١٧م).

وكان الخليل بن أحمد يعيش حياة المتقشفين؛ فقد كان يسكن خُصّاً. وقد عُنِيَ باللغة ونبغ فيها، حيث تتلمذ على يد أبي العلاء.

وهو الذي وضع علم عروض الشعر وقواعده وجمعها في خمسة عشر بحراً. ثم أضاف الأخفش بحراً واحداً إلى هذه البحور التي ابتكرها الخليل ابن أحمد. *(انظر: «عروض الشعر»)*

والخليل بن أحمد الفراهيدي هو أيضاً أول رائد في وضع معاجم اللغة العربية؛ حيث قام بتصنيف كتاب (العين) رائد المعاجم في اللغة العربية.

وقد وضعه معتمدا على الموسيقى أيضاً، حيث ابتدأ فيه بالألفاظ التي أولها حرف العين، ومن هنا أخذ ذلك المعجم اسمه.

وقد تتلمذ سيبويه العالم النحوي الكبير على يد الخليل بن أحمد.

وقد توفي الخليل بن أحمد بمسقط رأسه بالبصرة عام ١٧٠هـ (٧٨٦م).

وما زال الخليل بن أحمد ومؤلفاته تشغل الباحثين في علوم اللغة وتُعدُّ من أهم المراجع والمصادر للباحثين في اللغة العربية وعلومها المختلفة.

سيبويه:

سيبويه لقب لأمير النحاة أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. وسيبويه من الألقاب الفارسية، ومعناه رائحة التفاح. ولد بقرية البيضاء بشيراز عام ١٤٨هـ (٧٦٥م)، ثم انتقل إلى البصرة، وانصرف لدراسة اللغة والنحو، وتتلمذ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي والأخفش الأكبر، وأصبح من أئمة البصرة في النحو.

وفي خلافة الخليفة العباسي الرشيد انتقل إلى بغداد، وكان عمره زهاء اثنتين وثلاثين سنة، وفيها التقى الكسائيَّ.

وسيبويه أول من بسَّط النحو.

سيبويه المصري:

لقب لمحمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي المصري، ولد عام ٢٨٤هـ (٧٩٧م).

وقد تتلمذ على يد العالم الكبير القاضي أبي بكر بن الحداد، ونبغ في النحو نبوغاً كبيراً حتى لُقّبَ بسيبويه.

وكان يعيش في عهد الدولة الإخشيدية. وقد توفي عام ٣٥٨هـ (٩٦٨م).

- مصنفات في النحو:

التلقين:

اسم لكتابين من كتب النحو العربي، هما:

- التلقين في النحو: ومؤلفه ابن جني (أبو الفتح عثمان) المتوفَّى عام ٣٩٢هـ (١٠٠٢م)، وقد وضعت له عدة شروح، من أشهرها شرح العسكري.

- التلقين في النحو اللغوي: ومؤلفه الضرير أبو العكبري المتوفَّى عام ٦١٦هـ (١٢١٩م)، وقد وضعت له أيضاً شروح متعددة، من أهمها: شرح البليبسي، وشرح الغرناطي.

الأجرومية:

كتاب مشهور في نحو اللغة العربية، ويطلق عليه أيضاً اسم (المقدمة الأجرومية في علوم العربية). ومؤلف هذا الكتاب أبو محمد بن داود الصهناجي المعروف «بابن أجروم» المتوفى عام ٧٢٣هـ (١٣٢٣م).

وهذا الكتاب موجز جامع لعلم النحو وقواعده، ولذلك يسهل حفظه، فأدى ذلك إلى انتشاره في جميع البلاد العربية، أو التي تتكلم العربية، أو تريد تعلم قواعدها.

وقد طُبع أول مرة في روما عاصمة إيطاليا عام ١٥٩٢م. وقد وضعت له عدة شروح من أهمها: شرح الأزهري، وشرح الكفراوي، وشرح العشماوي.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات مختلفة، هي:

- اللاتينية، فقد ترجم إليها في ألمانيا عام ١٦١٠م.
- الإنجليزية. - الفرنسية. - الألمانية.

كتاب سيبويه:

كتاب سيبويه، واسمه أيضاً «الكتاب في النحو»، واستنبط سيبويه قواعد النحو العربي من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والأدب العربي وبخاصة الشِّعْرُ حتى نهاية العصر الأموي.

أول من نشر هذا الكتاب المستشرق الفرنسي «ديونبور»؛ فقد ترجمه إلى الفرنسية، ثم نشره بعد أن وضع له مقدمة، ووضع له عدة شروح، وظهرت الطبعة الأولى منه بباريس عام ١٨٨١م. ثم نشر بالقاهرة في عام ١٨٩٨م.

ثم نشره المستشرق «بان جاف» ببرلين بعد ذلك سنة ١٩٨٤م.

ولايزال كتاب سيبويه في النحو من أهم مراجع ومصادر النحو العربي حتى يومنا هذا، برغم ما فيه من تقسيمات وتفريعات أقرب ما تكون إلى تقسيمات علم المنطق.

obeikandl.com